

# مبادئ الأخلاق لجورج مور

بقلم: الدكتور عزيمى اسلم

MOORE, G. : PRINCIPIA ETHICA

العادية في أكسفورد مثل جلبرت رايل G. Ryle وستروسون Strawson وأوستين Austin وغيرهم .

والواقع ان أهمية مور ليست مقصورة على الناحية التاريخية من حيث هو أول رائد لفلسفة التحليل المعاصرة ، بل هي كذلك تعود الى انه كان أول من استخدم منهج التحليل بالنسبة لمشكلات الأخلاق بصفة خاصة .

والتحليل يرتبط في معناه عند مور بالتوضيح، فهو منهج يتبع بغرض الكشف عن حقيقة كثير من المشكلات الفلسفية ، التي لو حللناها - أى أوضحنا عناصرها - لتبين لنا زيفها ولذا فقد اتخذ مور من السؤال التالي مبدأ لا يجيد عنه وهو : « ما الذى نقصده من قولنا كذا وكذا ؟ » وتؤكد ستبنج Stebbing ( فى مقال لها بعنوان « تأثير مور » - منشور فى كتاب « فلسفة جورج مور » الذى قام بنشره شلب Schilpp ) تمسكه بهذا المبدأ بقولها ان منهج مور يتلخص

اذا كان مؤرخو الفلسفة المعاصرة يرون أن أهم فلاسفة التحليل المعاصرين فى النصف الأول من القرن العشرين هم : جورج مور ، G. Moore وبرتراند رسل B. Russell ولدقيج فتجنشتين L. Wittgenstein ، فما لا شك فيه اننا لو أردنا أن نؤرخ لبداية حركة التحليل فى الفلسفة المعاصرة ، لالتقينا بجورج مور . فهو الرائد الأول الحقيقى لهذا الاتجاه الجديد فى الفلسفة ، حتى ليذهب « ماكسويل تشالزورث » فى كتابه : « الفلسفة والتحليل اللغوى » ( صفحة ١٢ ) الى تحديد بدء فلسفة ، التحليل المعاصرة بظهور مقال مور المعروف باسم « رفض المثالية » عام ١٩٠٣ . فمور بهذا المعنى كان بمثابة أول من فتح طريق التحليل - بمعناه المعاصر - فى الفلسفة ، أو أول من تركت خطاه أئسرا على ذلك الدرب الذى تبعه فيه رسل وفتجنشتين، ثم سار على هديهم الفلاسفة التحليليون العلاجيون مثل جون ويزدم ، وفلاسفة اللغة

بين أربعة أخوة وأربع أخوات ، أول تعليم لهم بالمنزل في سن الثامنة ( أى حوالي عام ١٨٨١ ) ، ثم التحق بمدرسة دلويش Dulwich College التي ظل بها حوالي عشر سنوات ، أمضى منها مالا يقل عن ست في دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية بعد أن أظهر استعدادا كبيرا لتعلمهما في بدء حياته الدراسية .

وفي أكتوبر من عام ١٨٩٢ التحق بجامعة كمبرج ، وانصرف في العامين الأولين من إقامته بها إلى الدراسات الكلاسيكية القديمة ، بغرض أن يصبح مدرسا للغات القديمة بعد تخرجه في الجامعة . ولم يكن قد درس الفلسفة حتى ذلك الوقت ، فلم تكن معلوماته الفلسفية حتى ذلك الحين تزيد عما هو موجود في عدد من محاورات أفلاطون ( يذكر منها محاوراة بروتاجوراس ) ، قرأها باللغة اليونانية كنص لغوي لا كمحاوراة فلسفية . ولم يبدأ اهتمام مور بدراسة الفلسفة إلا بناء على تشجيع صديقه برتراندرسل الذي كان يسبقه بعامين دراسيين في كمبرج . ويروي مور حادثة هامة جعلته يبدأ في الاهتمام بدراسة الفلسفة فيقول في ( السيرة الذاتية ) في كتاب « فلسفة جورج مور » لشلب ، صفحة ١٣ - ١٤ : « دعاني رسل إلى تناول الشاي عنده مع ماك تاجارت الذي انصرف إلى الدفاع عن نظريته القائلة بأن الزمان غير حقيقي . ولقد حاولت أن أناقش ماك تاجارت في هذا القول ، وأعتقد أنني لم أكن أناقشه مناقشة جيدة ، لكن كانت لدى أشياء كثيرة يمكن قولها في هذا الصدد . وكانت هذه إحدى الحادثات التي جعلت رسل يعتقد بأن لدى استعدادا لدراسة الفلسفة وبالتالي إلى تشجيعي على دراستها » .

دائما في إزالة الغموض والاتجاه إلى التوضيح باستمرار ، وتروى كيف انبرى لها في أول مقابلة لها معه حين كانت تقرا بحثا في الجمعية الارسطية عام ١٩١٧ ، بقوله « ماذا تعنين بهذا الكلام ؟ » . ولعله كان متأثرا في هذا بإستاذه ماك تاجارت الذي يروي عنه مور « اصراره الدائم على الوضوح ، ذلك الاصرار الذي كان يتمثل في محاولته التوصل إلى معنى دقيق محدد للتعبيرات الفلسفية ، وفي وضع السؤال التالي : ما معنى هذا ؟ دائما » .

كما ان التحليل عند مور يرتبط كذلك بالتعريف وهو في هذا الصدد يقول ( في « الرد على النقاد » في كتاب فلسفة جورج مور لشلب ، صفحة ٦٦٥ ) « لأن تعرف فكرة ما ، هو نفس الشيء حين تحللها ، ولذا فهو قد جعل من ألفاظ اللغة وعباراتها - لا من حيث هي كذلك بل ، من حيث هي رموز وقوالب نعبر بها عن المعاني والأفكار والأحكام - موضوعا لتحليلاته ، بهدف تعريف وتحديد المعاني والأفكار والأحكام التي تصب في هذه الاطارات اللغوية ، وبالتالي توضيحها حتى تتبين ما هو زائف منها ، وما هو حقيقي .

ولقد أدى تطبيق مور لذلك المنهج على مشكلات الأخلاق إلى ظهور ما يسمى بفلسفة التحليل الخلقية ، أو بالأخلاق التحليلية لأول مرة في تاريخ فلسفة الاخلاق .

حياة مور : ( ١٨٧٣ - ١٩٥٨ )

ولد جورج ادوارد مور George Edward Moore في إحدى مقاطعات لندن نوروود العليا ( Upper Norwood ) عام ١٨٧٣ ، وتلقى هو وأخوته ، وكان ترتيبه الخامس

الأمر الذى يجعله ينصرف الى دراستها بعد ذلك فى كمبردج ، وتخرج فيها عام ١٨٩٦ .

والواقع ان تأثير رسل فى مور كان بالغاً ، سواء من حيث قراءته لمؤلفاته - التى يقول مور أنه أمضى فى دراستها وقتاً أطول من أى وقت أمضاه فى دراسة أى فيلسوف آخر ، أو من حيث مناقشاته معه ، تلك المناقشات التى كانت تتم فى لقاءات متعددة سواء أثناء دراستهما أو عملهما بالجامعة وخاصة فيما بين عامى ١٩١١ ، ١٩١٥ .

وقد انصرف مور بعد تخرجه فى الجامعة عام ١٨٩٦ ، ولمدة عامين فى التحضير لدرجة الزمالة ، وقد استمع فى هاتين السنتين الى محاضرات هنرى سرجويك H. Sidgwick ، وجيمس وارد J. Ward ، وستاوت G.F. Stout وماك تاجارت وقرأ فيها كثيراً من المؤلفات يذكر منها مور على سبيل التخصيص كتب كانط الثلاثة النقدية ( نقد العقل الخالص ، ونقد العقل العملى ، ونقد الحكم) فضلاً عن كتابى المقدمات «Prolegomena»

تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق . وتقدم الى كمبردج يبحث عن الأخلاق عند كانط حصل به على درجة الزمالة من كلية ترينيتى عام ١٨٩٨ . وقد نشر مور هذا البحث فى مجلة « مايند » Mind

عام ١٨٩٩ باسم « طبيعة الحكم » . وفى عام ١٨٩٨ أصبح عضواً فى الجمعية الارسطية ، كما أنه اشترك فى السنة نفسها - ولمدة ست سنوات تالية حتى عام ١٩٠٤ - مع ماكينزى فى الاشراف على المجلة الدولية للأخلاق . وقد ساهم مور فى بداية هذه الفترة - بكتابة عدة موضوعات فى « قاموس بولدوين الفلسفى » ، كما قام

بالقاء مجموعتين من المحاضرات فى لندن خلال هذه الفترة عينها عن الاخلاق بعامه ، والأخلاق عند كانط بخاصة ، وكانت هذه المحاضرات هى البداية التى طورها فيما بعد وجعل منها مخططاً عاماً لكتابه ( مبادئ الأخلاق ) Principia Ethica الذى نشره عام ١٩٠٣ .

وفى عام ١٩٠٤ انتهت مدة الزمالة فى كمبردج فتفرغ مور بعدها لدراسة الفلسفة ، مستعيناً فى ذلك بما قد ورثه عن أبويه من ثروة تسمح له بالانصراف الى البحث بدون أن ينشغل بالعمل من أجل التكسب ، وانتقل الى ادنبره ، عاكفاً على الدراسة والقراءة حتى عام ١٩٠٨ حيث عاد الى لندن وأقام فى رتشموند مع أختين من أخواته مواصلاً بحثه ودراساته ، كما قام فى تلك الأثناء كذلك بالقاء برنامجين من المحاضرات فى الميتافيزيقا والأخلاق فى كلية مورلى Morley ، وبوضع مخطط عام لكتابه « الأخلاق » ( الذى نشر فيما بعد عام ١٩١٢ ) .

ولقد بدأ مور يمارس العمل محاضراً فى كمبردج منذ عام ١٩١١ ولمدة ثمان وعشرين سنة. حصل خلالها على درجة الدكتوراه من كمبردج عام ١٩١٣ ، وتزوج خلالها عام ١٩١٦ من إحدى طالباته وهى (D.M. Ely) وأنجب منها طفله الأول « نيقولاس » عام ١٩١٨ ، وهو نفس العام الذى انتخب فيه زميلاً فى الأكاديمية الانجليزية ، والذى منح فيه درجة الدكتوراه الشرفية من جامعة سانت اندروز

وفى عام ١٩٢١ تولى مور الاشراف على اصدار مجلة « مايند » بعد اعتزال ستاوت ، ثم خلفه جيمس وارد فى منصب الأستاذية فى كمبردج عام ١٩٢٥ حتى بلغ الخامسة والستين من عمره

(ب) تعليقات على كتب أو أبحاث كتبها  
آخرون .

(ج) تسجيل مناقشات أو لقاءات على شكل  
حوار اشترك فيها مور .

وفيما يلي نماذج من هذه المقالات على سبيل  
المثال لا الحصر :

( أ ) المقالات والأبحاث الفلسفية :

١ - « الحرية »

- مايند - ابريل ١٨٩٨ .

٢ - « طبيعة الحكم »

- مايند - ابريل ١٨٩٩ .

٣ - « الضرورة »

- مايند - يوليو ١٩٠٠ .

٤ - « الذاتية »

- منشورات الجمعية الارسطية ١٩٠١ .

٥ - « التجربة والمذهب التجريبي »

- منشورات الجمعية الارسطية ١٩٠٢ .

٦ - « الأخلاق عند ماك تاجارت »

- المجلة الدولية للأخلاق ١٩٠٣ .

٧ - « رفض المثالية »

- مايند - ابريل ١٩٠٣ .

٨ - « المثالية عند كانط »

- منشورات الجمعية الارسطية ١٩٠٤ .

٩ - « البراجماتية عند وليم جيمس »

- منشورات الجمعية الارسطية ١٩٠٧ .

١٠ - « بعض الأحكام المتعلقة بالادراك »

- منشورات الجمعية الارسطية ١٩١٨ .

١١ - « العلاقات الخارجية والعلاقات الداخلية »

- منشورات الجمعية الارسطية ١٩١٩ .

عام ١٩٣٩ . وقد تعرف مور أثناء دراسته أو عمله  
بالجامعة بالكثير من الأساتذة والزملاء والتلاميذ  
مثل سدجويك وستاوت وبرتراندرسل ولدفيج  
فتجنشتين وفرانك رامزي C.D. Broad  
وغيرهم ممن تأثر بأرائهم الفلسفية ومناقشاتهم  
وأبحاثهم أو أثر فيهم وخاصة من حيث طريقته في  
التحليل أو في تناوله للمشكلات الفلسفية .

ثم ارتحل مور عام ١٩٤٠ الى الولايات المتحدة  
الأمريكية وظل بها مدة عامين عاد بعد أن حاضر  
خلالهما في بعض جامعات أمريكا - مثل جامعتي  
برينستون وكولومبيا - الى انجلترا حيث ظل  
يحاضر ويكتب المقالات والأبحاث ، حتى توفي عام  
١٩٥٨ .

أهم مؤلفاته :

لم ينصرف مور الى تأليف الكتب الفلسفية،  
بقدر ما كان مهتما بكتابة الأبحاث والمقالات  
التي نشر منها الكثير ، ويرجع ذلك الى قيامه  
بالإشراف على المجلة الدولية للأخلاق ، التي كان  
يكتب فيها المقالات تعليقا على الكتب الجديدة  
في الأخلاق ، والى إشرافه على إصدار مجلة  
« مايند » خلفا لستاوت ، والى مساهمته في  
تحرير منشورات الجمعية الارسطية . ولقد جمع  
مور بعض هذه المقالات ونشرها في كتب مستقلة .

ولذا يمكن تقسيم أعمال مور الفلسفية الى  
قسمين أساسيين : المقالات والأبحاث ، والكتب .  
وفيما يلي أهم هذه الأعمال مرتبة ترتيبا زمنيا :

أولا - المقالات والأبحاث :

وتصنف بدورها الى ثلاثة أنواع هي :

( ١ ) مقالات وأبحاث فلسفية .

١٢ - « برهان على وجود العالم الخارجى »  
- منشورات الاكاديمية الانجليزية ١٩٣٩ .

(ب) عرض وتعليق على مؤلفات وابحاث  
لآخرين :

١ - تعليق على : « اقامة علم الأخلاق على  
أساس نظرية المعرفة » لفشته Fichte في  
المجلة الدولية للأخلاق ، اكتوبر ١٨٩٨ .

٢ - تعليق على : « أسس الهندسة »  
لبرتراند رسل - مايند ، يولية ١٨٩٩ .

٣ - تعليق على : « المذهب الطبيعى  
واللاأدرية » لچيمس وارد - مجلة كمبردج ،  
نوفمبر ١٨٩٩ .

٤ - تعليق على: كتاب « المنطق » لچونسون  
- الملحق الأدبى لمجلة التيمس فى ١١/٨/١٩٢١ .

٥ - عرض وتعليق : لكتاب « تحليل  
العقل » لبرتراند رسل - الملحق الأدبى لمجلة  
التيمس فى ٢٩/٩/١٩٢١ .

( ج ) تسجيل لمناقشات فلسفية مع آخرين:

١ - حوار حول : « المعطيات الحسية » -  
اشترك فيه مور وستاوت . منشورات الجمعية  
الارسطية عام ١٩١٣ .

٢ - حوار حول : « المعرفة بالاتصال  
المباشر » - اشترك فيه مع هيكس Hicks  
وبرود وغيرهما . منشورات الجمعية الارسطية  
١٩١٩ .

٣ - حوار حول : الوقائع والقضايا - اشترك  
فيه مع رامزى F. Ramsey منشورات الجمعية  
الارسطية ١٩٢٧

٤ - حوار حول : « الموضوعات التخيلية »  
- اشترك فيه مع جلبسرت رايل Ryle ،  
منشورات الجمعية الارسطية ١٩٣٣ .

٥ - حوار حول : « هل الوجود صفة ؟ »  
- اشترك فيه مع وليم نيل Kneale ، منشورات  
الجمعية الارسطية ١٩٣٦ .

ثانيا : المؤلفات الفلسفية وأهمها :

١ - « مبادئ الأخلاق » Principia Ethica

وقد نشر عام ١٩٠٣ وأعيد طبعه عام ١٩٢٢ ثم  
توالت طبعاته بعد ذلك ، كما نشرت له ترجمة  
باللغة البولندية فى وارسو عام ١٩١٩ . ويتكون  
الكتاب ( فى طبعة عام ١٩٥٩ ) من ٢٣٢ صفحة  
من الحجم المتوسط فضلا عن المقدمة ، وفهرس  
مفصل بالموضوعات . وسأتناول بالتفصيل أهم  
أفكار مور الفلسفية فى هذا الكتاب فيما بعد .

٢ - « الأخلاق » Ethics

وقد نشر عام ١٩١٢ ، وأعيد نشره عام ١٩٢٥ ،  
ثم توالت طبعاته بعد ذلك . كما ترجم الى اللغة  
الاسبانية فى برشلونة عام ١٩٢٩ . ويتكون  
الكتاب ( فى طبعته السابعة عام ١٩٣٦ ) من ٢٥٤  
صفحة من القطع الصغير تناول فيه مور بالتحليل  
بعض المفاهيم الأخلاقية لدى عدد من فلاسفة  
الأخلاق ، وفى ضوء بعض المذاهب الخلقية .  
فهو يبدأ « بالمذهب النفى » فى الأخلاق ( فى  
الفصلين الأول والثانى ) منتقلا الى « موضوعية  
الأحكام الأخلاقية » ( فى الفصلين الثالث والرابع )  
ثم الى نتائج البحث فى الصواب والخطأ ( فى  
الفصل الخامس ) ومنه الى « الارادة الحرة »  
( فى الفصل السادس ) ، منتها الى معنى « القيمة  
الباطنية » ( فى الفصل السابع والأخير من الكتاب )

وقد نشر عام ١٩٢٢ ثم أعيد طبعه عام ١٩٤٨ وتوالت طبعاته بعد ذلك . ويتكون الكتاب ( في طبعته الثانية ) من ٣٤٢ صفحة من القطع العادي ، فضلا عن مقدمة من ثمان صفحات ، ويتناول فيه مور عدة موضوعات سبق أن عرض لأغلبها في مقالات وبحوث سابقة هي :

١ - رفض المثالية .

٢ - طبيعة وحقيقة موضوع الإدراك

٣ - البراجماتية عند وليم جيمس .

٤ - فلسفة هيوم .

٥ - المعطيات الحسية .

٦ - مفهوم الواقع .

٧ - بعض الأحكام المتعلقة بالإدراك .

٨ - مفهوم القيمة الباطنية .

٩ - العلاقات الخارجية والداخلية .

١٠ - طبيعة الفلسفة الخلقية .

٤ - «بعض المشكلات الأساسية في الفلسفة»

#### Some Main Problems of Philosophy

وقد نشر في لندن عام ١٩٥٣ ، وأعيد طبعه عام ١٩٥٨ ، وهو كتاب يقع ( في طبعته الثانية ) في ٣٧٨ صفحة من الحجم المعتاد ، فضلا عن المقدمة والتمهيد ويتضمن عدة محاضرات ألقاها مور في كلية مورلي Morley بلندن فيما بين عامي ١٩١٠ ، ١٩١١ ، اقترح جون ويزدم على مور أن ينشرها معا وهي تتناول الموضوعات التالية :

١ - ما هي الفلسفة ؟

٢ - المعطيات الحسية .

٣ - القضايا .

٤ - طرق المعرفة .

٥ - نظرية هيوم .

٦ - مناقشة نظرية هيوم .

٧ - الأشياء المادية .

٨ - الوجود في المكان .

٩ - فكرة اللاتناهي .

١٠ - الوجود في الزمان .

١١ - هل الزمن حقيقي ؟

١٢ - معنى ما هو « حقيقي » .

١٣ - التخيل والذاكرة .

١٤ - المعتقدات والقضايا .

١٥ - المعتقدات الصادقة والرائفة .

١٦ - الكون والواقع والوجود .

١٧ - الحقائق والكليات .

١٨ - العلاقات والصفات والتشابه .

١٩ - الفصل وبعض الصفات الأخرى .

٢٠ - التجريدات والكون .

٥ - «أبحاث فلسفية»

#### Philosophical Papers

وقد نشر عام ١٩٥٩ في لندن ويتكون من مجموعة من المقالات والأبحاث الفلسفية ، فضلا عن بعض المحاضرات التي كان يلقيها فتجنشتين في كامبردج فيما بين عامي ١٩٣٠ ، ١٩٣٣ . وكان مور قد نشر هذه المحاضرات من قبل مع تعليق عليها في مجلة « مايند » في عدد يناير ١٩٥٤

ويولية ١٩٥٤ ، ويناير ١٩٥٥ ، ثم أعاد نشرها في هذا الكتاب .

« مبادئ الأخلاق » Principia Ethica

( نعم أو لا ) هي الاجابة الصحيحة عنها ، وذلك لأنهم لا يضعون أمام أذهانهم سؤالاً واحداً بعينه ، بل أسئلة عدة ، تكون الاجابة عن بعضها بالنفي « لا » وعن بعضها بالايجاب « نعم » .

وهكذا يرى مور أننا لو عرفنا ما الذى نسأل عنه بالتحديد ، وميزنا بينه وبين غيره من الأسئلة ، لاستطعنا أن نوضح اجابتنا عنه ، اذا كان مما يمكن الاجابة عنه أصلاً . ولأننا لا نحدد ما نسأل عنه فى الفلسفة وفى الأخلاق أحياناً ، فاننا - فى نظره - غالباً ما نجيب اجابات متعددة ، الأمر الذى ينشأ عنه صعوبات كثيرة ومشكلات متعددة . ولذا فقد أخذ مور على عاتقه أن يقوم بتحليل أهم المشكلات المتعلقة بفلسفة الأخلاق فى هذا الكتاب لكى يبين أن أكثرها لم ينشأ الا عن الغموض أو عدم الوضوح الكافى فى وضع الأسئلة التى نحاول الاجابة عنها .

وتطبيقاً لذلك فقد وضع مور أمامنا سؤالاً أساسياً للبحث فى الأخلاق ، وهو : « ما الخير؟ » . وكانت محاولته الوصول الى اجابة واضحة عن هذا السؤال ، هى تأليف هذا الكتاب - أى كتاب « مبادئ الأخلاق » - بأكمله .

وقد عرض مور فى كتابه هذا لأهم الأفكار التى تناولها بالمناقشة والتحليل فى فقرات بلغ عددها ١٣٥ فقرة متتالية على طول الكتاب ، الذى ينقسم الى ستة أبواب كبرى هى :

- ١ - الباب الأول «موضوع علم الأخلاق»  
- من الفقرة رقم ١ - الى الفقرة رقم ٢٣ .
- ٢ - الباب الثانى « الأخلاق الطبيعية » -  
من الفقرة رقم ٢٤ - الى الفقرة رقم ٣٥ .

يعتبر كتاب « مبادئ الأخلاق » أول تطبيق عملى للمنهج التحليلى على مشكلات الأخلاق فى الفلسفة المعاصرة . ولقد عبر مور عن ذلك المعنى خير تعبير فى مقدمة كتابه المذكور ( صفحة VII ) بقوله : ( انه ليدولى - فى علم الأخلاق ، كما فى بقية الدراسات الفلسفية الأخرى - أن الصعوبات والاختلافات التى يمتلىء بها تاريخها ، إنما ترجع أساساً الى سبب بسيط جداً هو : أننا نحاول الاجابة عن أسئلة لم تبيين على وجه الدقة معناها ، أو بدون أن تبيين أى سؤال هو الذى نريد الاجابة عنه . وأنا لا أعرف المدى الذى قد يصل اليه الفلاسفة باستبعادهم مصدر هذا الخطأ ، اذا ما حاولوا أن يكشفوا عن السؤال الذى يسألونه ، قبل أن يشرعوا فى الاجابة عنه .

اذ أن القيام بالتحليل والتمييز عمل بالغ الصعوبة : ونحن غالباً ما نفشل فى القيام بذلك ، على الرغم من أننا نبدأ فى المحاولة بشكل محدد . الا اننى أميل الى الظن بأن المحاولة الجادة القائمة على العزم والتصميم قد تكفى لبلوغ النجاح ، وبأن كثيراً من أصعب المشكلات وأشدّها اثاراً للخلاف والفرقة فى الفلسفة ، سوف تزول لو أننا قمنا فعلاً بمثل هذه المحاولات الجادة .

ويبدو أن الفلاسفة بصفة عامة ، لا يقومون - فى أغلب الأحوال - بمثل هذه المحاولة الجادة ، بل هم يحاولون دائماً أن يبرهنوا على أن الاجابة « بنعم » أو « بلا » هى الاجابات الصحيحة عن الأسئلة التى لا تكون أى منهما

٣ - الباب الثالث « مذهب اللذة » - من الفقرة رقم ٣٦ - الى الفقرة رقم ٦٥ .

٤ - الباب الرابع « الأخلاق الميتافيزيقية » - من الفقرة رقم ٦٦ - الى الفقرة رقم ٨٥ .

٥ - الباب الخامس « الأخلاق وعلاقتها بالسلوك » - من الفقرة رقم ٨٦ - الى الفقرة رقم ١٠٩ .

٦ - الباب السادس « المثل الأعلى » - من الفقرة رقم ١١٠ - الى الفقرة رقم ١٣٥ .

وقد خصص مور الفقرة أو الفقرات الأخيرة من كل باب لتلخيص أهم الأفكار التي عرضها فيه أو تناولها بالمناقشة .

وفيما يلي تفصيل ما أوجزناه :

أولا : الخير صفة غير معرفة

يبدأ مور كتابه بمحاولة تحديد أو تعريف موضوع علم الأخلاق ، فيقول انه لكي يتم وضع تعريف صحيح للأخلاق ، علينا أن نكشف أولا عما هو مشترك بين جميع الأحكام الأخلاقية التي لاشك في صحتها . وهذا لا يعنى أن الأخلاق - عنده - تجعل من السلوك الانساني موضوع بحثها الأساسى ، بل يعنى انها تهتم أساسا بصفة معينة هي « الخير » ، وعكسها وهي « الشر » ، وهما في نظره صفتان يمكن أن يوصف بهما السلوك ، كما توصف بهما أشياء أخرى .

أى أن موضوع الأحكام الخلقية عنده ، ليست هي « الأشياء المفردة » ، لأن الأحكام الخلقية لديه هي تلك التي تتضمن الأحكام الكلية

التي تثبت وجود علاقة بين صفة « الخيرية » Goodness وبين موضوع جزئى ما ، أو التي تنسب صفة الخيرية الى موضوع بعينه .

ولذا فنحن اذا وضعنا المبحث الأخلاقى فى صيغة سؤال ، لكان هو السؤال الآتى : « ما هي صفة الخيرية ؟ » ، أو « ما هو الخير ؟ » ، ولكانت الاجابة عن هذا السؤال هي : أن تلك الصفة مما لا يمكن تعريفها indefinable . وذلك لأن صفة الخير صفة بسيطة عند مور ، ولأن ما هو بسيط لا يمكن تحليله ، يكون هو كذلك مما لا يمكن تعريفه .

ومن ثم يرى مور أن ما لا يمكن تعريفه ، ليس « ما هو خير » سواء كان شيئا أو كلا مركبا من أجزاء ، ويتصف دائما بصفة الخيرية ، بل هو صفة الخيرية نفسها . الا أن بعض الفلاسفة كانوا - على حد تعبيره - غالبا ما يوحّدون بين صفة الخير ، من حيث هي أحد موضوعات الفكر - وبين غيرها من الموضوعات الأخرى ، الأمر الذى أدى الى الوقوع فى مغالطة يسميها مور « بالمغالطة الطبيعية » naturalistic fallacy . وهى تلك المغالطة التى تحيل ما نستخدمه فى علم الأخلاق - على أنه مبدأ أساسى - اما الى عبارة تحصيل حاصل « كأن أقول اجابة عن السؤال : ما هو الخير ؟ » ، بأن الخير هو الخير » ( مبادئ الأخلاق : فقرة رقم ٦ صفحة ٦ ) ، أو الى عبارة تتكلم عن معنى لفظ من الألفاظ .

ويعبر مور عن هذه المغالطة - التى يرى أن الكشف عن طبيعتها أمر سهل ميسور - كما تتمثل فى فلسفة بنتام Bentham الأخلاقية بقوله : ( يبدو أن بنتام - كما يذكر سرچويك - يستخدم كلمة « صواب » لكى يعنى بها « ما يحقق



السعادة العامة» . وهذا القول في ذاته لا يتضمن بالضرورة المغالطة الطبيعية ، لأن كلمة «صواب» عادة ما تنسب إلى الأفعال التي تؤدي إلى تحقيق ما هو خير . وهي أفعال ينظر إليها من حيث هي وسائل تهدف إلى تحقيق المثل الأعلى ، وليست غايات في حد ذاتها . وهكذا تشير كلمة «صواب» إلى ما هو خير من حيث هو وسيلة لتحقيق غاية ما . ) ( مبادئ الأخلاق ، فقرة ١٤ ، صفحة ١٨ ) .

لكن المغالطة تتضح في فلسفة بنتام حين يرى أن المبدأ الأساسي القائل - بأن تحقيق أكبر قدر من السعادة لكل من نهتم بهمهم - هو دائما الغاية الصحيحة right والحقيقية proper للأفعال الإنسانية . وعلى ذلك فهو يستخدم كلمة « صحيح » ( أو ما هو صواب right ) للدلالة على الغاية - وهي السعادة - من حيث هي كذلك ، وليس فقط للدلالة على الوسيلة - أى الأفعال - التي تفضي إلى تلك الغاية . وفي هذا الصدد يقول مور : ( فإذا كان ذلك كذلك ، لأصبح من المتعذر تعريف « الصواب » بأنه « ما يؤدي إلى تحقيق السعادة العامة » بدون أن يكون ذلك متضمنا للمغالطة المذكورة . إذ من الواضح الآن ، أن تعريف الصواب - من حيث هو ما يؤدي إلى تحقيق السعادة العامة - يمكن أن يستخدمه بنتام في تأييد المبدأ الأساسي القائل بأن السعادة العامة هي الغاية الصحيحة « أو الصائبة right » ، بدلا من أن يكون تعريف الصواب نفسه مستمدا من ذلك المبدأ .

فإذا كان الصواب - من حيث التعريف - يعني تحقيق السعادة العامة ، لكان من الواضح أن تكون السعادة العامة هي الغاية الصحيحة .

وليس من الضروري الآن ، أن نبرهن أولا على أن السعادة العامة هي الغاية الصحيحة ، قبل أن نعرف الصواب بأنه ما يحقق السعادة العامة ، وهذه طريقة سليمة تماما ) إلا ان العكس - وهو أن تعريف الصواب بأنه « ما يؤدي إلى السعادة العامة ، هو تعريف يبرهن على ان السعادة العامة هي الغاية الصحيحة » - انما يمثل طريقة غير سليمة في البرهنة . إذ لا تكون في هذه الحالة العبارة التالية « السعادة العامة هي الغاية الصحيحة للفعل الانساني » مبدأ اخلاقيا على الاطلاق ، بل تكون اما مجرد عبارة تتكلم عن معنى عدة الفاظ ، أو ان تكون مجرد قضية تتحدث عن طبيعة السعادة العامة ، وليس عن صوابها rightness أو خيريتها . ( مبادئ الأخلاق ، فقرة رقم ١٤ ، صفحة ١٩ ) .

وبعد أن يوضح مور هذه المغالطة على النحو سالف الذكر ، يعود إلى مناقشة معنى الخيرية فيقول :

طالما أن الأخلاق تهتم أساسا بصفة الخير من حيث تحققها في هذا الشيء أو ذلك السلوك ، فمن الممكن بحث هذه العلاقة القائمة بين تلك الصفة وبين الأشياء الموصوفة بها ، أى العلاقة التي تربط بين صفة الخير وبين الأشياء أو الأنماط السلوكية الخيرة . ويصنف مور هذه العلاقات إلى نوعين هما : علاقة يمكن أن نسميها بالعلاقة المباشرة ، تفيد كون الشيء خيرا في ذاته ، وعلاقة يمكن أن نسميها بالعلاقة غير المباشرة ، وتفيد ارتباط شيء ما برابطة سببية مع شيء آخر يكون خيرا في ذاته . ويكون الشيء في هذه الحالة الأخيرة عند مور خيرا « من حيث هو

وسيلة « good as a means . ( فقرة رقم ٢٣ ، صفحة ٣٦ ) .

ويهتم مور أساسا بما هو خير في ذاته ، من حيث هو يتضمن قيمة باطنة فيه . ويوضح ذلك بقوله اننا يجب أن نفرق بين ما هو خير في ذاته ، وبين ما هو خير من حيث هو وسيلة لتحقيق نتائج معينة ، وذلك : ( على أساس ان الفرق بين الحكم الذى يثبت أن شيئا خيرا في ذاته ، وبين الحكم الذى يثبت ان شيئا خيرا من حيث هو وسيلة لتحقيق نتائج معينة ، هو أن الحكم الأول - حينما يصدق بالنسبة لمثل واحد أو بالنسبة لحالة واحدة من حالات الشيء موضوع الحكم - يكون صادقا بالضرورة بالنسبة لجميع الحالات ، في حين أن الشيء الذى تكون له نتائج خيرة في ظروف معينة ، قد تترتب عليه نتائج سيئة في ظروف أخرى . وعلى ذلك فما لاشك فيه الآن صدق القول بأن جميع الأحكام المتعلقة بالقيمة الباطنية ، هى أحكام كلية universal بهذا المعنى . ) ( الفقرة رقم ١٨ ، صفحة ٢٧ ) .

وبما أن الأحكام التى نقولها انما تتعلق بأشياء هى موضوعات تلك الأحكام ، فاننا نجد ان مور يتناول هذه الموضوعات بالتحليل قائلا ( ان هناك عددا كبيرا من الأشياء المختلفة التى يكون لبعضها قيمة باطنية ، وهناك أشياء أخرى كثيرة شريرة ، كما ان هناك أشياء أخرى كثيرة تبدو كما لو كانت متعادلة القيمة ) ( أو غير ذات قيمة indifferent ) . الا ان الشيء الذى يدخل في أى فئة من هذه الفئات الثلاث ، قد يوجد من حيث هو جزء من كل ، يتضمن في بقية أجزائه أشياء أخرى تتعلق بالفئة نفسها وبالفئتين الأخرتين . والتناقض الذى أريد أن ألفت اليه

النظر هو أن قيمة مثل هذا الكل ، لا تحتفظ بنسبة ثابتة موحدة بالنسبة لمجموع قيم أجزائه ( أى أجزاء ذلك الكل ) . فقد يرتبط شيء خيرا يمثل هذه العلاقة مع شيء خير آخر ، بحيث تكون قيمة الكل المكون من الاثنين أكبر بكثير من مجموع قيمتي الشئين الخيرين . ( مبادئ الأخلاق ، نفس الموضوع السابق ) .

ويستخدم مور عبارة « الكل العضوى » Organic Whole للتعبير عن مثل هذا الكل المكون من الأشياء الخيرة . وينتهى الى القول بأننا حينما نتكلم عن اتصاف الأشياء بصفة الخيرية أو تحقق هذه الصفة فيها ، علينا أن ندخل في اعتبارنا أن الكل قد يتصف بتلك الصفة ، بدرجة تختلف عن تلك الدرجة التى تتوصل اليها من مجموع درجات تحقق تلك الصفة فى أجزاء ذلك الكل . ( فقرة رقم ٢٣ ، صفحة ٣٦ ) .

### ثانيا : الأخلاق الطبيعية

ويهتم مور فى الباب الثانى من كتابه « مبادئ الأخلاق » بمناقشة الاجابات المختلفة عن السؤال الأساسى الذى قدمه لنا فى الباب الأول ، وهو : ما هو الخير فى ذاته ؟ ، فيلخص الأسس التى تقوم عليها هذه الاجابات المقترحة على النحو الآتى :

١ - ان هذه الاجابات يعتقد أصحابها بوجود نوع واحد من الأشياء يكون وحده خيرا فى ذاته .

٢ - وان هذه الاجابات تنتهى الى ذلك لأن أصحابها يفترضون وجود هذا الشيء الواحد ، لتحديد معنى الخير أو لتعريفه .

كما يقسم مور أهم النظريات التى تأتى تلك الاجابات تعبيرا عنها ، الى مجموعتين :

١ - مجموعة ميتافيزيقية .

٢ - مجموعة طبيعية . (أى مجموعة يقول أصحابها بالمذهب الطبيعي) .  
وتنقسم المجموعة الأخيرة بدورها - عند مور - الى مجموعتين فرعيتين من النظريات هما :

(أ) نظريات يعتقد أصحابها بوجود موجود طبيعي ، يكون وحده هو الخير ، ولا يكون هو اللذة .

(ب) نظريات مذهب اللذة .  
ويخصص مور بقية فقرات الباب الثانى لمناقشة النوع الأول من النظريات ( والباب الثالث لمناقشة مذهب اللذة ، والباب الرابع لمناقشة المذهب الميتافيزيقى ) ، محاولا تعريف وتحديد ما نعنيه بكلمة المذهب الطبيعي Naturalism بقوله : ( ان هناك نظريات اخلاقية يذهب أصحابها الى أنه لا وجود لقيمه باطنية الا فى حالة أنصاف شيء ما بصفة طبيعية لاتكون هى اللذة . وهى نظريات تصرح بذلك على فرض أن الخير يعنى الاتصاف بصفة طبيعية . ومثل هذه النظريات أسميها بالنظريات ( الطبيعية ) . وهكذا فانتى أطلق اسم « المذهب الطبيعي » naturalism على طريقة للبحث فى الأخلاق ، تقوم على استبدال صفة الخير بصفة يتصف بها شيء طبيعى ، أو مجموعة من الأشياء الطبيعية ) . (فقرة رقم ٢٦ ، صفحة ٣٩) ، أو بمعنى آخر (فانتى أسمى تلك النظريات بالنظريات الطبيعية لانها جميعا تتكلم عن صفات بسيطة أو مركبة ، تتصف بها أشياء أو موضوعات طبيعية بسيطة أو مركبة أيضا ) .

فانما نقول ان شيئا من الأشياء ، هو شيء طبيعى اذا كان موجودا أو هو موجود حاليا ، أو هو مما يمكن ان يوجد مستقبلا فى الزمان ) ( فقرة رقم ٢٦ ، صفحة ٤٠ ) . الا ان الصعوبة عند مور تنشأ حينما تتساءل عن الصفات التى تتصف بها الأشياء ، وهو فى هذا الصدد يقول : ( أى هذه الصفات التى تتصف بها الأشياء الطبيعية ، هى صفات طبيعية وأياها صفات غير طبيعية ؟ اننى لا أنكر أن الخير صفة تتصف بها أشياء طبيعية معينة ، ومع ذلك فانتى أقول ان « الخير » ذاته ليس صفة طبيعية . اذ أن اتصاف صفة ما بكونها طبيعية ، انما يتعلق بوجودها فى الزمان . فهل يمكننا أن تنصدر الخير على أنه موجود بذاته فى الزمان ، وليس فقط مجرد صفة لشيء أو لموجود طبيعى ؟ بالنسبة لى ، لا أستطيع أن أتخيل ذلك ) . ( فقرة رقم ٢٦ ، صفحة ٤١ ) .

ويناقش مور ذلك المذهب الطبيعى بطريقته التحليلية ، فيحلل الصياغة اللغوية لذلك المذهب ويرى أن القول الشائع بأن الأشياء تكون خيرة لأنها طبيعية ، قد يتضمن :

(أ) اما القضية الكاذبة القائلة بأن ما هو سوى normal ، هو خير من حيث هو كذلك .

(ب) واما القضية الكاذبة القائلة بأن ما هو ضرورى necessary ، هو خير من حيث هو كذلك .

ولتوضيح ذلك يقول مور : ( هذه النظريات الاخلاقية اذن ، نظريات طبيعية ، وهى تلك التى تصرح بأن الخير الوحيد انما يقوم على وجود نوع من الصفة فى الأشياء ( أى على اتصاف الأشياء بصفة معينة ) ، توجد فى الزمن . وهى نظريات يذهب أصحابها الى ذلك الرأى لأنهم يفترضون ان الخير ذاته لا يمكن تعريفه بالاشارة الى مثل هذه الصفة . ( فقرة رقم ٢٧ ، صفحة ٤١ ) . ثم يناقش مور الأساس الذى تقوم عليه هذه النظريات بقوله : ( أولا، هناك المبدأ الاخلاقى الشهير الذى يوحى بأن « يعيش الانسان على وفاق مع الطبيعة وهو مبدأ اخلاقى رواقى . لكن بما ان ذلك المبدأ يغلب عليه الطابع الميترفيزيقى ، فاننى لن أتناوله الآن بالتفصيل . كما اننا نجد مثل هذه العبارة واردة عند جان جاك روسو . الا أن ذلك المبدأ لو كان صحيحا ، أى اذا كان كل ما هو طبيعى ، هو كذلك خير ، لترتب على ذلك زوال الأخلاق بمعناها المؤلف : لأننا نعرف أن هناك من الأشياء ما هو خير أو شرير أخلاقيا ) . ( فقرة رقم ٢٧ ، صفحة ٤٢ ) .

ومعنى ذلك أن تكون جميع الأشياء الطبيعية أشياء خيرة ولا يكون هناك مجال لوجود أشياء شريرة أو غير خيرة .

ولذا يناقش مور معنى الخيرية فى الطبيعة —

من حيث ارتباط معنى الخيرية بمعنى ما هو سوى فيقول : قد تعتبر الصحة الوفيرة على سبيل المثال خيرا ، من حيث أن الصحة هى الحالة السوية للموجودات الطبيعية الحية ، على الرغم من اعتبار المرض كذلك تاجا طبيعيا . لكن السؤال الحقيقى فى هذا الصدد هو : هل كل ما هو سوى يكون خيرا بالضرورة ؟ وهل يتضح لنا حقيقة أن الصحة مثلا ( من حيث هى الحالة السوية للكائن الحى ) شيئا خيرا ؟ فى هذا الصدد يقول مور : ( اننى أعتقد فى المقال الأول ، بأنه ليس كل ما هو خير هو سوى . بل على العكس ، فما هو شاذ عن المؤلف قد يكون أفضل مما هو سوى . فما لا شك فيه ان الامتياز والتفوق حالات غير سوية ، شأنها شأن الفساد والفجور . لكن يمكن القول مع ذلك بأن ما هو سوى هو خير . ) ( نفس المرجع السابق ، صفحة ٤٣ ) .

ويستمر مور فى تحليل معنى كلمة «طبيعى»، فيناقش معنى الخيرية فى الطبيعة من حيث ارتباط معناها بما هو « ضرورى » ، على أساس ان هناك وجدانات ومشاعر وأفعال طبيعية ، قد زودت بها طبيعة الانسان ، بحيث تجعله قادرا على المحافظة على حياته أو استمراره فى الحياة والتكيف معها . وان مثل هذه الأفعال والوجدانات ضرورية للانسان بهذا المعنى ، وهى فى الوقت نفسه خيرة .

الا أن مور يرى أن وجود مثل هذا الحد الأدنى من الأفعال لا يبرر تقسيمها أو لا يكون سببا للثناء عليها أو وصفها بأنها خيرة . وهو فى هذا الصدد يتساءل : لماذا يجب علينا ان نفترض ان ما هو ضرورى للحياة — هو أفضل فى ذاته مما هو ضرورى لدراسة الميترفيزيكا مثلا ؟ منتها

ثالثا : الاخلاق عند فلاسفة مذهب اللذة :

يبدأ مور في الباب الثالث من كتابه بتحليل هذا المذهب الاخلاقي بتعريفه، على أنه ذلك المبدأ الذي يرى أصحابه أن اللذة هي الشيء الوحيد الذي يكون خيرا بذاته ، أو « الخير الوحيد » ، وهو المبدأ الذي طالما قال به اللذيون من قبل مثل أرسطوبس مؤسس المدرسة القورينائية وأبيقور والمدرسة الايقورية ، وفلاسفة مذهب المنفعة مثل جيرمي بنتام وجون ستيوارت ميل Mill وكذا هربرت سبنسر وهنرى سدجويك وغيرهم . وقد جعل مور مناقشته لهذا المبدأ تدور أساسا حول تحليله اياه بغرض اظهار المغالطة الطبيعية ، التي يقوم عليها مستشهدا على ذلك بما ذهب اليه جون ستيوارت ميل . كما انه يناقش كذلك رأى سرجويك الذي - وان لم يكن قد ارتكب المغالطة الطبيعية ، على النحو الذي فعله ميل - الا أنه ارتكب عدة أخطاء واردة في حججه وبراهينه دفاعا عن اللذة .

ويبدأ مور بمناقشة فلسفة ميل على أساس أن ميل يرى :

( أ ) السعادة هي الشيء الوحيد الذي يكون موضع رغبة desirable من حيث هي غاية .

( ب ) وأن الأسئلة التي نساؤها عن الغايات القصوى لا يمكن أن تخضع للبرهان المباشر . الا أن برهان ميل على القضية الاولى جاء قائما على أساس من الخلط بين « ما هو موضع رغبة » وبين ما هو مرغوب فيه desired ، كما أن برهانه على صحة القضية الثانية كان بمثابة المحاولة لاطهار انه لا شيء مرغوب فيه الا اللذة

من ذلك الى ان ( القول بأن شيئا ما يكون خيرا لأنه « طبيعي » ، أو شرا لأنه « غير طبيعي » ، بهذا المعنى السابق ، هو قول فاسد أو هو حجة غير صحيحة ) . ( فقرة رقم ٢٩ ، صفحة ٤٥ ) .

كما يناقش مور نظرية التطور عند هربرت سبنسر وتشارلز دارون ، من حيث هي مرتبطة بالمذهب الطبيعي ، أو من حيث هي مثال للمذهب الطبيعي وقد أقيم على أساس من التطور . فيرى أن مذهب التطور يعتمد على ما أسماه دارون بالانتخاب الطبيعي Natural Selection

أو ما أسماه بالبقاء للأصلح ، ولذا فقد أطلق دارون على العملية الطبيعية - التي يتحقق وفقها ذلك الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح - اسم عملية التطور . وتطبيق ذلك على مجال الأخلاق يتمثل في القول « بالاخلاق التطورية » التي تقوم على تصور أن ما هو أحسن ، انما يعني « ما هو أكثر تطورا » ، وهي النظرة التي توحى بها فلسفة الأخلاق عند سبنسر في كتابه معطيات الأخلاق Data of Ethics ويرى

مور أن ما يذهب اليه سبنسر بشأن الربط بين التطور وبين الأخلاق ، أو بين اللذة وبين التطور قول غامض ، الأمر الذي جعل مور يعبر مذهب سبنسر الطبيعي على أنه مذهب اللذة الطبيعية Naturalistic Hedonism ( فقرة رقم ٣٢ ، صفحة ٥٠ ) . ولذا فان مناقشة مذهب سبنسر بهذا المعنى تدخل في نطاق مناقشته مذهب اللذة بمعناه العام، وهو المذهب الثاني من المذاهب غير الميتافيزيقية التي يناقشها مور ، وقد أفرد مور الباب الثالث من كتاب لمناقشة هذا المذهب ، مذهب اللذة .

وحدها . ومن ثم يمكن تلخيص الخطوات الاولى  
في فلسفة ميل الاخلاقية كما يلي :

١ - ان السعادة هي وحدها مايكون «موضع  
رغبتنا» من حيث هي غاية أخيرة .

٢ - أن اللذة هي وحدها ما نرغب فيه .

أو هي كما يلخصها مور على نحو آخر  
بالقضيتين التاليتين : ( لأن تفكر في موضوع  
ما على انه « موضع رغبتنا » ، ما لم يكن ذلك من  
أجل النتائج المترتبة عليه ، ولأن تفكر فيه على انه  
شيء يحقق لذة ما ، هو في الواقع شيء واحد .  
ولأن نرغب في أي شيء ، بعيدا عن فكرتنا عنه  
من حيث هو شيء يحقق لذة ما ، أمر مستحيل  
استحالة طبيعية واستحالة ميتافيزيقية أيضا . )  
(فقرة رقم ٤٤ ، صفحة ٧٢) .

ومن الواضح ان ميل يخلط بين ما هو  
« موضع رغبة » وبين ما هو مرغوب فيه ، فهو  
بعد أن ربط بين اللذة وبين ما هو مرغوب فيه ،  
عاد فربط بين ما هو موضع رغبة ، وبين ما يحقق  
لذة . الأمر الذي جعل مور ينتهي الى : ( ان كلا  
القولين السابقين ، يقوم على مغالطة : فالقول  
الأول يبدو أنه قائم على المغالطة الطبيعية ، كما  
أن القول الثاني يعتمد على هذه المغالطة من ناحية ،  
وعلى مغالطة خلط الغايات بالوسائل من ناحية  
أخرى . وعلى مغالطة الخلط بين الفكر السار  
Pleasant thought وبين التفكير فيما هو

سار أو في لذة ما Thought of a pleasure

وهذا ما تفصح عنه لغته هو . ) ( فقرة رقم ٤٤ ،  
صفحة ٧٢ )

ويوضح مور ذلك فيقول :

يتلخص رفضنا لحجج ميل وبراهينه على النحو

الآتي :

انه يستخدم الحد التالي: «ماهو موضع رغبة»  
the desirable من حيث هو مرادف للحد : « ما  
هو خير » the good ، لكي يعنى به مايمكن أن  
يكون مرغوبا فيه ، ويستخدم الحد التالي : « ما  
هو مرغوب فيه » the desired لكي يعنى به ماهو  
مرغوب فيه بالفعل ، ولذا فهو يقول اننا لو وجدنا  
شيئا يكون وحده دائما مرغوبا فيه ، كان ذلك  
الشيء بالضرورة هو الشيء الوحيد الذي يكون  
موضع رغبتنا ، أى الشيء الوحيد الذي يكون  
خيرا من حيث هو غاية . فى مثل هذا البرهان نجد  
أن المغالطة الطبيعية واضحة . وهي - كما ذكرنا  
من قبل - تعتمد على القول بأن الخير انما يعنى  
فكرة - بسيطة أو مركبة - يمكن تعريفها أو  
تحديدها بواسطة عدة صفات طبيعية . والخير  
عند ميل يعنى بكل بساطة ماهو مرغوب فيه  
(بالفعل) ، وان ماهو مرغوب فيه ، هو - عنده -  
شيء يمكن تعريفه وتحديده بواسطة الفاظ طبيعية  
natural terms (أى الفاظ تعبر عن صفات طبيعية)  
ويخبرنا ميل بأننا ينبغي علينا أن نرغب فى شيء  
ما ( قضية أخلاقية مثلا ) ، لأننا نرغب فيه بالفعل  
الا أنه لو كان قوله - بأن العبارة : «ينبغي على  
أن أرغب» لا تعنى شيئا أكثر مما تعنيه العبارة  
« اننى أرغب بالفعل» - قولاصححا ، كان معنى  
ذلك القول بأننا « نرغب فعلا فى كذا وكذا ،  
لأننا نرغب فيه فعلا » ، وهذه ليست بالقضية  
الأخلاقية على الاطلاق ، بل هي مجرد تحصيل  
حاصل .

والواقع أن الهدف الأساسى عند ميل ، هو  
محاولة مساعدتنا فى الكشف عما ينبغي أن نفعله ،  
الا أنه بمحاولته تحديده وتعريف كلمة « ينبغي »  
ought ، قد خرج خروجا كاملا عن كل مايؤدى

الى تحقيق ذلك الغرض ، اذ نجده قد انصرف الى اخبارنا عما نفعه بالفعل .

وبذلك تكون أول حجة يذهب اليها ميل ، هي :  
أن الخير - لأنه يعني ماهو مرغوب فيه - فان ماهو مرغوب فيه يكون خيرا ، لكنه بهذا المعنى يكون قد توصل الى نتيجة أخلاقية ، بانكاره امكان التوصل الى أى نتيجة أخلاقية ، وهو بذلك يكون مازال فى حاجة الى برهان آخر يجعل - على أساسه - من النتيجة التى توصل اليها قاعدة لمذهبه فى اللذة . اذ عليه أن يبرهن أننا نرغب دائما فى اللذة ، أو فى التحرر من الألم ، وبأننا لانرغب فى أى شيء آخر عدا ذلك . وهذا المبدأ الثانى هو الذى يسميه سرجويك بمذهب اللذة النفسية (Psychological Hedonism) . (فقرة رقم ٤٤ ،

صفحة ٧٣)

ويناقد مور فكرة اللذة النفسية عند سرجويك بقوله أن سرجويك قد فشل فى التفرقة بين «اللذة» وبين «الشعور باللذة» ، وفى أن يتبين بطلان القول بأن «اللذة هى الخير الوحيد» . كما يناقد المذاهب المتعلقة بالقول باللذة فيقول : ( ليس مذهب الأناية والمنفعة من حيث هما نموذجان أساسيان لمذهب اللذة ، ( ليسا فقط بالمذهبين المختلفين أحدهما عن الآخر ، بل انهما كذلك يتناقضان ، طالما أن الأول يثبت القول الآتى : « ان لذتى الكبرى هى الخير الوحيد » وأن الثانى يثبت القول التالى : « ان أكبر اللذات على الاطلاق هى الخير الوحيد » .

ويبدو أن انتشار مذهب الأناية انما يعود - من جهة - الى فشله فى ملاحظة ذلك التناقض - وتعتبر فلسفة سرجويك الاخلاقية خير مثال على ذلك - كما يعود من جهة أخرى الى الخلط بين

مذهب الأناية من حيث هو مبدأ يتعلق بالفائدة ، وبينه من حيث هو مبدأ يتعلق بالوسيلة ، فاذا كان مذهب اللذة صحيحا ، فان مذهب الأناية لا يمكن أن يكون كذلك كما أنه لا يكون كذلك لو كان مذهب اللذة غير صحيح .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان غاية مذهب المنفعة - اذا كان مذهب اللذة صحيحا - لن تكون هى بالطبع أحسن ما يمكن بلوغه أو تحقيقه ، وان كانت هى أحسن ما يمكن أن نبدأ منه الا أنها غاية مرفوضة برفض مذهب اللذة ) ( مبادئ الاخلاق : فقرة رقم ٦٥ ، صفحة ١٠٩ )

### رابعا : الاخلاق الميتافيزيقية

وبعد أن يناقد مور الأخلاق الطبيعية ، أو المذهب الطبيعى فى الأخلاق بفروعه المختلفة ، يناقد فى الباب الرابع من الكتاب ، الأخلاق الميتافيزيقية أو المذاهب التى تقيم الأخلاق على أساس ميتافيزيقى . ويبدأ مور بتحليل كلمة «ميتافيزيقيا» فىرى بأنها تعرف من حيث دلالتها أساسا وبطريقة أولية على أى موضوع من موضوعات المعرفة ، لا يكون جزءا من أجزاء الطبيعة أو العالم الطبيعى ، أى لا يكون موجودا فى زمان معين مثل موضوعات الادراك الحسى ، ولكن بما أن الميتافيزيقيين لا يكتفون بمجرد القول بمثل هذه الماهيات ، بل يفترضون دائما أن ما ليس له وجود فى الطبيعة ، يجب أن يكون موجودا على نحو ما . لذا فان كلمة « ميتافيزيقيا » بالنسبة لهم تكون ذات دلالة أيضا من حيث اشارتها الى حقيقة مفارقة

Supersensible reality

يفترضون وجودها على نحو ما .

ولذا فان «الأخلاق الميتافيزيقية» Metaphysical Ethics عند مور، تعنى تلك النسقات

ومن ثم فكل تشبيه أو تمثيل للقضايا الخلقية بقوانين الطبيعة - على الرغم من تشابههما في الصورة ، هو تشبيه قائم على تلك المغالطة المنطقية .

فعلى الرغم من تشابه العبارتين التاليتين مثلا :

١ - هذا أضر .

٢ - هذا خير .

في الصورة أو في التركيب النحوي . الا أنهما مختلفتان في التركيب المنطقي ، وهذا ما يتغاضى عنه الميتافيزيقيون الذين يسبق الى ظنهم أن التساوى في التركيب اللغوي لا يختلف عن ، أو هو يستتبع التساوى في التركيب المنطقي كذلك .

والاختلاف بين العبارتين السابقتين يتضح من تحليل العبارة الثانية الى قضية علاقة relational تغير وجود علاقة بين شيء معين ، وبين شخص يحكم على هذا الشيء فيصفه بأنه خير . في حين أن القضية الأولى ، قضية حملية تصف موضوعا بصفة قائمة فيه ) .

كما يتمثل الخطأ المعرفي - عند مور - في التوحيد بين « كون الشيء خيرا » وبين « كونه موضع ارادة » ، أو « كونه هو ما نشعر به على نحو معين » ( فقرة رقم ٧٧ ) . ويفند مور ذلك الخطأ بقوله أن ميتافيزيقا الارادة لا تنادى بكون لها علاقة بالأخلاق ، على أساس أنه ليس من الضروري أن يكون كل ما نريده دائما خيرا ، ولا أن يكون كل ما هو خير هو ما نريده فقط أو نرغب فيه . ويرى مور أن مثل هذا الربط بين « الخيرية » وبين الارادة أو الوجدان ، كان شائعا في فلسفة الأخلاق منذ عصر كانط ( الذي رد الأخلاق - في القسم الأول من كتابه تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق - الى ما أسماه

انفلسفية التي يذهب أصحابها الى أن الاجابة عن السؤال التالي : « ماهو الخير ؟ » ، تعتمد منطقيا على الاجابة عن السؤال الآتي : « ماهى طبيعة الحقيقة المفارقة ؟ »

ويرى مور أن الميتافيزيقا - اذا كنا نفهمها على أنها البحث في « حقيقة » مفارقة نفترض وجودها - لا يمكن أن تتعلق بالسؤال الأخلاقي الأساسي التالي : « ماهو الخير في ذاته ؟ » . ويوضح هذا المعنى بقوله : ( ان الميتافيزيقا يمكن أن تكون ذات صلة بالأخلاق العملية Practical أى بالسؤال « عما ينبغي علينا أن نفعله ؟ » ، طالما أنها قادرة على اخبارنا عن النتائج المتوقعة لأفعالنا : الا أن مالا تستطيع اخبارنا به ، هو ما اذا كانت هذه النتائج خيرة أو شريرة في ذاتها ) ( فقرة رقم ٨٥ ، صفحة ١٣٩ ) ، لكن مور لا يناقش علاقة الميتافيزيقا بالأخلاق العملية ، بل يناقش علاقتها بالسؤال الأساسي في الأخلاق وهو « ما الخير في ذاته ؟ » ويمثل مور لهذا الاتجاه الميتافيزيقي ، بعدة أمثلة منها ذلك الغرض القائل بأن « الخير يجب أن يدل على نوع من الصفة الحقيقية في الأشياء » . ومور يرفض مثل ذلك القول ، ويرى أنه افتراض قائم أساسا على فرضين خاطئين : أولهما منطقي وثانيهما معرفي ، أى يتعلق بنظرية المعرفة ، أما الخطأ المنطقي فيتمثل في القول بأن جميع القضايا تثبت وجود علاقة ما بين عدة موجودات ، أى يكون كل من الموضوع والمحمول فيها ذا دلالة خارجية ، أو أن يكون له ما يقابله في العالم الحقيقي ، في حين لا يرى مور أن مثل هذا القول قول صحيح بالنسبة للقضايا الاخلاقية اذ أن قضايا الأخلاق - في نظره - لا يمكن اخضاعها لمثل هذا النمط من العبارات



بالارادة الخيرة ) ، فقد كان فلاسفة هذا الاتجاه يرون أن معرفة الخير تكون مصحوبة دائما بالارادة والوجدان بصفة عامة .

قد تمت معرفته على الاطلاق . وينتج عن ذلك أنه حتى لو كانت القضية التالية : « هذا خير » هي دائما موضوع نوع من الارادة أو الوجدان ، فإن البرهنة على صدق هذه القضية لا تتم على أساس انها موضوع تلك الارادة أو الوجدان ، والا كان من الممكن أن تصبح تلك القضية ذاتها متماثلة مع القضية التي يكون موضوعها هو موضوع الارادة أو الوجدان ( فقرة رقم ٨٥ ، صفحة ١٤١ ) .

#### خامسا : الأخلاق العملية :

هكذا ناقش دور الاجابات المختلفة عن سؤالين أساسيين في الأخلاق هما :

١ - ماهي طبيعة القضية التي تقول : « هذا الشيء خير في ذاته » ؟

٢ - أي الأشياء تكون خيرة بذاتها ؟

وفي هذا الصدد يقول مور ( في الفقرة رقم ٨٧ ) انه قد أجاب عن السؤالين اجابة واحدة حين قرر أن اللذة ليست هي الشيء الوحيد الذي يكون خيرا بذاته .

ثم ينتقل مور في الباب الخامس من هذا الكتاب الى مناقشة الاجابات المختلفة عن السؤال التالي : « أي سلوك يكون هو الوسيلة التي توصلنا الي نتائج خيرة ؟ » أو هو بصيغة أخرى : « ما الذي ينبغي علينا أن نفعله ؟ » ، وهو سؤال كما يقول مور يتعلق بالأخلاق العملية ، ويوضح ذلك بقوله : ( ان الأخلاق العملية لا تسأل « ماذا ينبغي أن يكون ؟ » ، بل تسأل « ما الذي ينبغي علينا أن

الا أن مور يرى أن أيا من هذه الوقائع النفسية أو الوجدانية لا ينتج عنها بالضرورة أن يكون « ماهو خير » متماثل مع « ما يكون موضع ارادة » وكل خلط بينهما يكون أشبه بالخلط بين موضوع الفكر وبين فعل التفكير ، أو بين « الصدق » نفسه وبين مايفترض أنه معيار الصدق . ( فقرة رقم ٨٠ ) ولذا فهو يفرق بين « ماهو خير » وبين « ما هو موضع ارادة » اذ لو كانا شيئا واحدا لما كان الأخير معيارا للاول . ومن ثم ، فعلينا أن نوضح أن هناك أشياء خيرة في ذاتها مستقلة عن كونها موضع ارادة ، بدون أن نطلب عوننا من ميثافيزيقا الارادة ( فقرة رقم ٨٣ ) ولذا يعيب مور على الميتافيزيقيين اقامة الأخلاق على أساس من الارادة ، فيقول ان الفلاسفة الميتافيزيقيين - مثل توماس جرين Green - لم يحاولوا البحث في الأخلاق بشكل مستقل عن الارادة ، وهذا يوضح - في نظره - أنهم قد بدأوا من ذلك الافتراض الفاسد الذي يقول بأن الخيرية تكون هي نفسها ماهو موضع ارادة ( فقرة رقم ٨٤ ) .

ويلخص مور وجهة نظره في هذا الصدد بقوله : ( اننى أود توضيح عدة نقاط أساسية هي :

أ - ان الارادة والوجدان ليسا مماثلين للمعرفة ب - اننا يجب أن نهرق بوجه عام بين موضوع المعرفة ، وبين المعرفة التي تتم بهذا الموضوع . ومن ثم فان السؤال الذي يسأل عما اذا كان الموضوع حقيقيا ، يجب ألا يكون هو نفسه السؤال الذي يسأل عن كيفية معرفة الموضوع أو عما اذا كان

نفعله ؟ » ، انها تسأل : أى الأفعال تكون واجبات؟ وأيها يكون صوابا وأيها يكون خطأ؟. ولذا فان البحث فى الأخلاق العملية يقع بأكمله فى نطاق القسم الثالث من أقسام الأسئلة الخلقية ، أى نطاق تلك الأسئلة التى تسأل « ما الخير من حيث هو مجرد وسيلة ؟ » ، وهو سؤال يعادل السؤال التالى : « ماهى وسيلة الخير؟ » - أو ماهو السبب أو الشرط الضرورى تحققه فى الأشياء الخيرة حتى تكون خيرة بذاتها؟ ( فقرة رقم ١٠٩ ، صفحة ١٨٥ )

والسؤال عما ينبغى علينا أن نفعله ، يثير عند مور - السؤال عما يجب علينا أن نفعله ، وبالتالى عن معنى الواجب . ومن ثم يبادر مور ( فى الفقرة رقم ٨٩ ) الى تأكيد الحقيقة القائلة بأن القضايا المثبتة التالية : « هذا الفعل صواب » أو « هذا الفعل واجب على » ، تكافئ وتعاادل القضية القائلة بأن جملة نتائج فعل ما ، سوف تكون هى أحسن النتائج الممكنة . فى ضوء هذه الحقيقة السابقة ، ينتهى مور الى عدة نتائج أهمها :

١ - ان المذهب الحدسى - الذى يرى أصحابه أن معنى الواجب يدرك بالحدس ، وبالتالى فان القضايا التى تعبر عن معناه تكون واضحة بذاتها - مذهب خاطئ ، طالما أننا لانجد أى قضية تتعلق بالواجب وتكون واضحة بذاتها ( فقرة رقم ٩٥ ) .

٢ - انه لا أمل لدينا فى البرهنة على أن فعلا ما ، يجب أن تترتب عليه أحسن النتائج فى كل حالة تؤديه فيها ، ولذا فالكشف عن « الواجب » بهذا المعنى ، عند مور ، أمر مستحيل . ( فقرة رقم ٩١ ) .

٣ - وعلى ذلك ينحصر دور الأخلاق ، لا فى

تحديد الواجبات المطلقة ، بل فى أن تظهر - من بين عدد قليل من الأفعال البديلة - أيهما يمكن أن يكون أفضل فى نتائجه ، تحت ظروف معينة ( فقرة رقم ٩٢ ) . وهو بهذا يخرج عما ذهب اليه الميتافيزيقيون ، وعما ذهب اليه كانط الذى اعتبر أن نظرنا الى الواجب ينبغى أن تكون مجردة عن كل باعث أو غاية ، أى بغض النظر عن البواعث التى تؤدى الى القيام بالفعل الذى يتفق مع الواجبات ، وبغض النظر كذلك عن نتائجه .

٤ - ان المقارنة بين عمل وعمل آخر - على النحو سالف الذكر - هو أمر على درجة كبيرة من الصعوبة . ويرى مور أننا لانرى برهانا مناسباً نبرهن به على أن جملة نتائج فعل واحد هى أفضل من نتائج غيره من الأفعال ، وذلك :

أ - لأننا لانستطيع الا أن نحسب النتائج الفعلية ، مقارنة بالنسبة للمستقبل القريب ، لكن ذلك قد لا يكون ميسورا فى حالة احتساب نتائج الفعل ، بالنسبة للمستقبل البعيد .

ب - بل وحتى فى حالة احتساب نتائج الفعل بالنسبة للمستقبل القريب ، نجد أن تقريرنا بأن جملة نتائج فعل معين ، أفضل أو أحسن من جملة نتائج فعل آخر ، هو أمر بالغ الصعوبة ، كما أن البرهنة على أن فعلا واحدا بعينه ، يكون أفضل من فعل بديل آخر من حيث هو وسيلة - لتحقيق نتائج أفضل - فى جميع الحالات التى نقوم فيها به ، هو برهان غير محتمل الصدق ، ان لم يكن يبلغ درجة الاستحالة . ( فقرة رقم ٩٤ ) . وفى هذا الصدد يقول مور : ( لكى تثبت أن الفعل الذى قمنا به ، هو من قبيل الواجب ، معناه أن تثبت أنه ذلك الفعل الممكن ، الذى تترتب عليه دائما - فى ظروف معينة معروفة - نتائج أفضل من نتائج أى فعل

آخر بديل . وينتج عن ذلك أن تكون القضايا الكلية التي يكون الواجب محمولا فيها بقدر ما هي أبعد ما تكون عن الوضوح الذاتي - محتاجة الى برهان دائما ، وهو أمر غير متوفر بين وسائل معرفتنا .

الا أن كل ما حاولته الاخلاق ، أو ما يمكن أن تقوم بمحاولته في هذا الصدد ، انما يوضح أن أفعالا معينة ، ممكنة بالارادة ، يترتب عليها بصفة عامة نتائج أحسن أو أسوأ من نتائج أى أفعال بديلة أخرى ممكنة ..

فاذا صدق قولنا حين أطلقنا اسم «الواجب» على الأفعال التي يترتب عليها بصفة عامة - في المستقبل القريب - نتائج أفضل من النتائج التي تترتب على أى أفعال أخرى ممكنة ، استطعنا أن نقيم البرهان على أن عددا قليلا من القواعد المعروفة عن الواجب هي قواعد صحيحة . لكن ذلك لا يصدق الا في ضوء ظروف اجتماعية معينة . والواقع أن مثل هذا البرهان لا يكون برهانا ممكنا الا في بعض الحالات ، وبدون أن يرتبط ذلك بالحكم الصحيح عن الأشياء التي تكون خيرة أو شريرة في ذاتها . ( فقرة رقم ١٠٩ ، صفحة ١٨١ )

ويقارن مور بين معنى الواجب ، ومعنى الفضيلة فيرى أن الفضائل لا يمكن أن توجد من حيث هي استعدادات خيرة في ذاتها ، وينتج عن ذلك الاتكون الفضيلة - عند مور - في مجتمع ما هي هي نفسها في مجتمع آخر ( فقرة رقم ١٠٣ ) بل تكون الفضائل في نظره خيرة من حيث هي وسائل ، ولا تكون خيرة بذاتها ، لأن : ( المقصود أساسا «بالفضيلة» مجرد استعداد دائم لأداء «الواجبات» - بهذا المعنى المحدد ، وبناء على ماتقدم ، فان الفضيلة - اذا ما كانت في حقيقتها فضيلة - فهي

يجب أن تكون خيرة من حيث هي وسيلة ، بالمعنى الذي تستوفى فيه الشروط السابقة ، الا أنها لا تكون أفضل من غيرها من الاستعدادات غير الفاضلة non-virtuous - فهي بصفة عامة ليست لها قيمة في ذاتها . وحتى حين تكون لها قيمة في ذاتها ، فستصبح أبعد ما يكون عن كونها الخير الوحيد أو أفضل الخيرات . وبناء على ذلك « فالفضيلة » ليست - كما هو شائع - الصفة الخلقية الوحيدة ( فقرة رقم ١٠٩ ، صفحة ١٨٢ ) . ومعنى ذلك أن مور لا يجد سببا لأن نفترض أن ممارسة الفضيلة - من حيث هي أداء للواجبات - شيء خير في ذاته دائما ، ان لم يكن هو الخير الوحيد ( فقرة رقم ١٠٤ ) .

اذن على أى أساس نقارن بين الأفعال ، بحيث نقول أن هذا الفعل أفضل من غيره من الأفعال البديلة الأخرى ، من حيث نتائجه ، طالما أن البرهان على أن فعلا واحدا بعينه أفضل من فعل بديل آخر هو برهان غير محتمل ، ان لم يكن متعذرا ؟ ( فقرة رقم ٩٤ ) .

ان الأساس الذي يلجأ اليه مور ، أو معيار المقارنة والتفضيل عنده انما يرجع الى الفهم المشترك common-sense ( اذ أن أغلب الأفعال التي يقبلها الفهم المشترك بوجه عام ، قد تكون بصفة عامة أفضل - من حيث هي وسائل - من أى فعل بديل آخر ) ( فقرة رقم ٩٥ ) .

#### سادسا : المثل الأعلى

وبعد أن يناقش مور كل هذه الاتجاهات والمذاهب الأخلاقية السابقة ، يختتم كتابه بالبحث في المثل الأعلى الخلقى ، ومور شأنه شأن بقية فلاسفة التحليل ، والتزاما منه بالخط التحليلي في

٢ - الخيرات المختلطة .

٣ - الشرور .

( فقرة رقم ١٢٤ )

فأما الخيرات الخالصة ، ( فيمكن القول بأنها تقوم أساسا على حب الأشياء الجميلة أو الأشخاص الأخيار : الا أن عدد الخيرات المختلطة التي تكون من هذا النوع الخالص ، كثير ومتعدد ، تبعا لكثرة عدد الموضوعات الجميلة ، وتبعا لاختلاف العواطف والمشاعر التي ترتبط بتلك الموضوعات الجميلة ان هذه الخيرات بلاشك خيرة ، حتى لو كانت الأشياء الجميلة أو الأشخاص الأخيار الذين نجبهم أشياء وأشخاص من صنع الخيال ) ( فقرة رقم ١٣٥ ، صفحة ٢٢٤ ) ، وان كان من الأفضل عند مور - لو كان لهذه الأشياء الجميلة . ولهؤلاء الأشخاص الأخيار وجود حقيقي .

وأما الشرور فتتقسم بدورها الى ثلاث فئات رئيسية هي :

١ - شرور تتمثل في الاعجاب بما هو شر أو قبيح ، أو حب أو الاستمتاع به .

٢ - شرور تتمثل في كراهية وازدراء كل ما هو خير أو جميل .

٣ - الشعور بالألم .

( فقرات رقم ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ )

وأما فيما يتعلق بالخيرات المختلطة فهي عند مور : ( تلك التي تتضمن عنصرا فيها يكون شرا أو قبيحا ، ويمكن القول بأنها تقوم : اما على كراهية ما هو قبيح أو كراهية الشرور بأنواعها السابقة ) ( فقرة رقم ١٣٥ ، صفحة ٢٢٥ ) ، بمعنى أن بعض الأشياء الخيرة عند مور ، قد تكون فيها جوانب شريرة أو

فلسفته ، لا ينصرف الى تنويع فلسفته بإقامة مثل أعلى عام ، بقدر ما ينصرف الى مناقشة الفكرة في ذاتها ، ولذا نجده يبدأ الباب السادس بتحليل معنى « المثل الأعلى » ، فيقول أن المقصود « بالمثل الأعلى » ، أو بالحالة - المثالية - للأشياء من الناحية الأخلاقية ، يمكن أن يكون :

١ - اما هو « الخير الأقصى » ، أي ، ما هو أحسن وأفضل ، على الاطلاق .

٢ - واما هو « الأحسن والأفضل » في حدود ما تسمح بوجوده قوانين الطبيعة في هذا العالم .

٣ - واما هو « أي شيء خير في ذاته » بدرجة كبيرة ( فقرة رقم ١١٠ )

ويبدأ مور بتحليل المعنى الثالث ، مع مناقشة الأسئلة الأساسية المتعلقة بالأخلاق في هذا الصدد مفترضا أن تحليلنا للمعنى الثالث ، يعتبر خطوة أساسية تجاه نظرة صحيحة ننظر من خلالها الى ما هو « مثالي » بالمعنى الموجود في العبارتين رقم ١ ورقم ٢ . فيرى أننا لكي نصل الى اجابة صحيحة عن السؤال الذي يسأل « عما هو خير في ذاته ؟ » أن ندخل في اعتبارنا القيمة التي تكون الأشياء متحصلة عليها ، حين تكون الأشياء موجودة بذاتها ( فقرة رقم ١١٢ ) وهذا يتطلب البحث في الصفات التي تتصف بها الأشياء ، وكذا البحث في معرفتنا بهذه الصفات ويسمى مور تلك الصفات التي تتصف بها الأشياء ، والتي بناء على معرفتنا بها نحكم على الأشياء بأنها خيرة أو غير ذلك ، يسميها بالصفات الباطنية ويجعل منها أساسا للقيم الباطنية ، وبالتالي لتقييمنا للأشياء .

ويقسم مور هذه القيم الى أنواع ثلاثة هي :

١ - الخيرات الخالصة ( أو غير المختلطة

unmixed goods ) .

و « غير طبيعية » . ولذا فهو يقارنها بكلمة مثل « أصفر » ، فيرى أن الكلمتين متشابهتان من حيث دلالة كل منهما على صفة بسيطة ، الا أنهما يختلفان في أن كلمة « أصفر » تشير الى صفة « طبيعية » في حين لاتفعل ذلك كلمة « خير » .

الا أن مور لم يفتن ( كما يقول برود C.D. Broad في كتاب « فلسفة جورج مور » ، طبعة شلب Schilpp ، صفحة ٥٧ ) - الى سؤال أساسي في هذا الصدد وهو : هل « الخير » اسم الصفة على الاطلاق ؟ كما أنه افترض بساطة فكرة « الخير » ولم يضع تلك البساطة موضع التساؤل وانتهى من ذلك الى أنها فكرة غير معرفة طالما أنها فكرة بسيطة غير مركبة ، وطالما أن ما لا يقبل التعريف عنده هو البسيط لا المركب .

لكن ما معنى أن تكون الصفة البسيطة ، طبيعية أو غير طبيعية ؟ وما العلاقة بين كون صفة الخير صفة بسيطة وبين كونها غير طبيعية ؟

يقول مور أن « الموضوع الطبيعي » هو أى شيء يوجد في زمن معين مثل هذه القطعة من الحجر أو ذلك الشيء مثلا . وأن الموضوعات الطبيعية تتصف بصفات طبيعية ، كما أن بعضها يتصف كذلك بصفات غير طبيعية . والصفة الطبيعية التي يتصف بها موضوع طبيعي ، يمكن ادراكها - عند مور - على أنها موجودة بنفسها في زمن معين .

أما الصفة غير الطبيعية لشيء طبيعي ، فهي تلك التي لا يمكن ادراكها على أنها موجودة بنفسها في زمن معين ، بل يمكن ادراكها فقط من حيث هي مجرد صفة لموضوع طبيعي .

لكن ألا يحق لنا أن نتساءل عما اذا كانت كل صفة من الصفات التي يتصف بها الموضوع الطبيعي

مؤلة ، ولذا فهي لاتكون شريرة تماما ، كما أنها لاتكون خيرات خالصة ، بل تكون خيرات مختلطة ويستدرك مور قائلًا أنه لا يوجد سبب نظر من أجله أن وجود بعض الجوانب الشريرة في شيء ما ، يجعل منه شرا ، بل سيكون خيرا ككل as a whole وان لم يكن خيرا في جملة on the whole ( فقرة رقم ١٣٢ ) .

وبهذا ينتهي مور الى فكرتنا عن المثل الأعلى قد يدخل في تكوينها فكرتنا عن الشرور ( فقرة رقم ١٣٣ ) ، وخاصة فيما يتعلق بالخيرات المختلطة .

وهكذا لا يكون المثل الأعلى الأخلاقي عند مور مفارقا تمام المفارقة ، معبرا عن « حقيقة » خارجة عن مستوى الأشياء الخيرة ، طالما انه يرى أن معرفتنا بصفات الأشياء ، أو بقيمها الباطنية تعتبر احدى المكونات الأساسية التي تتكون منها فكرتنا عن المثل الأعلى .

\*\*\*

كلمة ختامية :

يمكننا بعد العرض السابق لفلسفة مور الأخلاقية ، كما هي متمثلة في كتابه « مبادئ الأخلاق » ، أن نلاحظ ما يأتي :

أولا : أن بعض تحليلات مور لم تكن على درجة كافية من الوضوح ، على الرغم من أن الوضوح يعتبر سمة أساسية للتحليل ، الذي جعل منه مور منهجا له يطبقه على مختلف مجالات البحث الفلسفي . ومن بين الأفكار التي لاتزال تحتاج الى توضيح في كتابه « مبادئ الأخلاق » ، فكرته عن الصفات « الطبيعية » والصفات « غير الطبيعية » فهو يرى أن كلمة « خير » ، اسم لصفة « بسيطة »

يصدق عليها معيار مور في كونها غير طبيعية؟ ومن ثم فانه لا وجود لما يسميه مور بالصفة الطبيعية في الوجود الطبيعي . فنحن حين نقول ان قرشا ما يتصف بصفة اللون الأصفر أو بصفة الاستدارة ، فاننا نفهم أن صفتي الاستدارة والتلون باللون الأصفر ، من الصفات التي لا تقوم بذاتها ، ولذا فهي من الصفات غير الطبيعية، في حين أن مور يرى أنها صفات طبيعية . مما سبق يمكننا أن ننتهي مع برود ( المرجع السابق ، صفحة ٦١ ) الى القول بأن ما كتبه مور بخصوص التفرقة بين الصفات الطبيعية وغير الطبيعية غير واضح تمام الوضوح .

ثانيا : ان مور نفسه يرى أن بعض النتائج  
التي توصل اليها ليست بالنتائج التعيينية أو النهائية، وبأن بعض الأحكام التي انتهى اليها أحكام متعسفة الى حد ما ، انما يشفع له في هذا الصدد انه لم يكن يهدف الى التوصل الى اليقين بقدر ما كان يهدف الى التحليل ، بل انه لم يكن يهدف الى النتيجة بقدر اهتمامه بتطبيق المنهج . ولقد عبر مور عن هذا المعنى بقوله : ( ان كثيرا من الأحكام التي انتهت اليها في هذا الباب ( أى الباب السادس والأخير في كتابه « مبادئ الأخلاق » ستبدو بلاشك أحكاما متعسفة الى حد ما : وعلى أن أعترف بأن بعض صفات القيم الباطنية ، ليست متسقة في نظام أو نسق واحد متكامل على النحو الذي يتطلبه الفلاسفة . الا أن ذلك لا يشكل اعتراضا أساسيا على ماقلته . إذ أن مدى ذلك الاتساق يتوقف على نظرنا الفلسفية .

وعلى الرغم من ذلك فانتى مقتنع بأن النتائج التي توصلت اليها ، يحسن أن تؤخذ على أنها أمثلة تصور المنهج الذي يجب اتباعه في محاولة للاجابة عن الأسئلة الأساسية في الأخلاق . فقد حاولت قبل الاجابة عن السؤال التالي : « ما الذى ينبغي علينا أن نفعله ؟ » ، حاولت أن أوضح أولا معنى السؤال ، وكذا الصعوبات التي علينا أن نواجهها أثناء محاولتنا الاجابة ، بدلا من البرهان على أن اجابة بعينها أو اجابة أخرى هي وحدها الاجابة الصحيحة . والواقع أن مثل هذا السؤال، وغيره، هو مما كان يهتم الفلاسفة الاخلاقيون دائما بالاجابة عنه ، على الرغم من عدم تبينهم معنى السؤال نفسه ، ان الدأب على ترديد السؤال الذى يسأل عن أى الأشياء هي التي تكون فضائلا أو واجبات ، بدون أن نميز بين معانى هذه الألفاظ ، والدأب على ترديد السؤال الذى يسأل عما ينبغي أن يكون هنا ، والآن ، بدون أن نميز بين ما اذا كان وسيلة أم غاية ، أو ما اذا كان فى ذاته أم من أجل نتائج ، والبحث عن معيار واحد تفرق بناء عليه بين ما هو صواب وما هو خطأ ، بدون أن نعرف أننا لكى نكشف عن معيار ما ، علينا أولا أن نعرف أى الأشياء تكون صحيحة وأيهما تكون زائفة غير صحيحة . وهذه كلها تعتبر من الأسباب الرئيسية للوقوع فى الخطأ فى فلسفة الأخلاق ) .  
( الفقرة رقم ١٤٣ ، صفحة ٢٢٢ ، ٢٢٣ )

دكتور عزمى اسلام

المدرس بكلية الآداب - جامعة عين شمس